ٱلْجِهَادُ وَٱلرِّبَاطُ فِي بِلَادِ ٱلشَّامِ

أهل الشام هم أهل القيادة والريادة، وأهل الجهاد والرباط، وصدٌّ هجمات أعداء الإسلام، منذ الفتح الإسلامي وحتى قيام الساعة.

فكانت الشام عاصمة الأمويين، وكانت دولتهم خير دولة وأعزها في الإسلام بعد الخلافة الراشدة، وأكثرها فتوحًا.

ورغم أن عمر دولتهم لم يبلغ قرنًا من الزمن، فإن أكبر فتوح الإسلام انطلقت منها؛ إذ امتدت فتوحها من الصين شرقًا إلى الأندلس وفرنسا غربًا، ومن بحر قزوين في الشمال إلى المحيط الهندي في الجنوب، وكادت أن تفتح أوربا بأكملها.

وكان للدولة الزنكية والأيوبية في الشام جهود عظيمة في جهاد الصليبيين؛ إذ قام السلطان نور الدين محمود بن زنكي بتخليص الشام وأهلها من الصليبيِّين، كما قام صلاح الدين الأيوبي بتحرير القدس والمسجد الأقصى.

وعلى أرض الشام وقعت المعارك العظام، مثل اليرموك، وحطين، وعين جالوت، وشقحب،وميسلون.

فلم تزل أرض الشام على مر الزمان أرض الجهاد والرباط، وهي أرض الحسم بين المسلمين واليهود في آخر الزمان، وبينهم وبين الروم في الملحمة الكبرى، وبينهم وبين الدجال.

obeikandl.com

طمع الدول والحضارات في بلاد الشام:

لقد غزا الشام غُزاةٌ كُثيرون مُتنوِّعون في عصور مختلفة، لكن المُجاهدين من أبنائها، ومن محبِّيها قهروا الغزاة، وردُّوهم بعون الله خائبين.

وقد بدأت المُواجهة الحربية بين المسلمين والروم في حياة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في غزوة تبوك، حتى فتحها المسلمون في عهد الخليفتين الراشدين أبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في معارك حاسمة أهمُّها: معركة اليرموك بقيادة خالد بن الوليد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ثم فتح دمشق بقيادة أبي عبيدة بن الجراح رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وبعد معارك دامية اندحر الروم من الشام، ورحَل هرقل من حمص مُوَدِّعًا سورية وداعه الأخير، وهو يقول: «عليك السلام يا سورية، سلامًا لا اجتماع بعده»[1].

ولم ييأس الروم من استعادة الشام، فقاموا بغزوها مرارًا، وأرسلوا الحملات الصليبية تترى، الحملة تلو الأخرى، وارتكبوا خلالها كثيرًا من المجازر، وأهلكوا الزرع والضرع وأحرقوا الأخضر واليابس، وعاثوا في الأرض الفساد، وقتّلوا ومثّلوا وانتهكوا الحرمات، وقُتل في بيت المقدس أكثر من سبعين ألفًا، وفي معرة النعمان نحو هذا العدد أيضًا.

واستمر جهاد المسلمين ضد الصليبيين دون توقف على مدى عقود من الزمن، وكانت معركة حطين بداية النهاية للحملات الصليبية على بلاد الشام.

وفي سنة (٦٥٨) هـ، قصد التتارُ بلادَ الشام، ووصلوا إلى حلب، فحاصروها، ثم

(١) ينظر: «تاريخ الطبري» (٣/ ٦٠٣).

افتتحوها بالأمان، وغدروا بأهلها، وقتلوا منهم خلقا لا يعلمهم إلا الله عَزَّوَجَلَّ، واستباح (تيمورلنك) مدينة حلب وبنى من رؤوس القتلى تلالا، وهدم ما فيها من مساجد ومدارس، ونهب جنده الأموال، وجاسوا خلال الديار، وسبوا النساء والأطفال، وجرى على أهل حلب قريب مما جرى على أهل بغداد من الهوان.

وكلك فعلوا مع أهل دمشق وحماة.

ولما بلغ السلطانَ المُظَفَّر قُطُز صاحب مصر ما فعل التتار بالشام، وأنهم قد نهبوا البلاد كلها حتى وصلوا إلى غزة، وعزموا على دخول مصر، بادرهم قبل أن يبادروه، فخرج إليهم في عساكر مصر والشام، بعد أن اجتمعت الكلمة عليه، فقاتل بهم التتارَ في معركة «عين جالوت»، في يوم الجمعة الخامس والعشرين من رمضان، فاقتتلوا قتالاً عظيمًا.

وهزمهم المسلمون هزيمة هائلة، وقُتل أمير المغول وجماعة من بيته، واتبعهم الجيش الإسلامي يقتلونهم في كل موضع، وطهروا البلاد من شرهم، فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين.

ولما كَسر الملك المظفر قطز عساكر التتار بعين جالوت ساق وراءهم، ودخل دمشق في أبهة عظيمة، وفرح به الناس فرحًا شديدًا، ودعوا له دعاء كثيرًا، واسترد حَلَبًا من يد (هولاكو)، وعاد الحق إلى نصابه.

ثم عاود التتار الكرة لغزو الشام، فكانت معركة «شقحب» في الثاني من رمضان سنة (٧٠٢) هـ.

وكانت معركة حاسمة بين جيوش المسلمين من مصر والشام، ومعهم السلطان الناصر محمد بن قلاوون، وبين جيوش التتار ومن حالفهم من النصارى، فالتحم الصفان، واحتدم القتال إلى أن جعل الله الدَّبَرة على أعدائه، ومنح المسلمين أكتافهم، فريقًا يقتلون ويأسرون فريقًا.

وكان لشيخ الإسلام ابن تيمية ولغيره من العلماء دورٌ عظيمٌ في هذه المعركة، فقد كان يُثَبِّتُ عزائم الجند ويقوي قلوب المجاهدين، بل شارك بنفسه في القتال، وطاف في الجيش يقوي قلوبهم، ويُشَجِّعُهم، ويُقْسِم للأمراء والناس أنهم في هذه الكرَّة منصورون، فيقول له الأمراء: قل: إن شاء الله. فيقول: إن شاء الله تحقيقًا لا تعليقًا.

وأفتى الناسَ بالفطر مُدَّة قتالهم، وأفطر هو أيضًا، وكان يدور على الأجناد والأمراء، فيأكل من شيء معه في يده؛ ليُعْلِمَهم أن إفطارهم؛ ليتقَوَّوْا به على القتال أفضلُ من صيامهم[1].

وكذلك حاول الباطنية من العبيديين والقرامطة السيطرة على بلاد الشام مرارًا، وتم لهم ذلك في بعض الأوقات، لكنهم لم يتمكنوا من حكمها، ولم ينعموا فيها بالاستقرار؛ لاستمرار حركة الجهاد ضدهم.

وفي العصر الحديث: أعاد الفرنسيون سيرة أجدادهم باحتلال بلاد الشام، وتصدى لهم أهل الشام بكل بسالة، حتى حرروا البلاد منهم في النهاية.

وساعد النصيريون على مر التاريخ: الصليبيين، والتتار، والفرنسيين في غزو بلاد

---

(١) «البداية والنهاية» (١٤/ ٢٣).

الشام، بل قاموا بتقديم عريضة للحكومة الفرنسية متضمنة العداء للعرب والمسلمين، والتعاطف مع اليهود في فلسطين، والطلب بإيجاد دولة علوية في سوريا.

وعن طريق المكر والخداع، والتعاون مع أعداء الإسلام استطاع النصيرية مؤخرًا الوصول إلى سُدَّة الحكم في سوريا.

وها هي راية الجهاد تُرفع مرة أخرى بعد فترة من تسلُّط النصيريِّين، واستعلائهم على البلاد؛ ليسترد المسلمون حقهم، ويتبوءوا مكانتهم.

وها هي ملاحم البطولة تعود اليوم من جديد، لتعيد للشام مكانتها، بعد تطهيرها من هؤلاء الباطنية القرامطة الخبثاء.

openkandl.com